حديث عن الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويتجنب سخطه.

نحمده سبحانه أن هدانا للإسلام وجعلنا من أهل التوحيد الخالص.

أما بعد فيا عباد الله..

لا أريد اليوم أن أدافع عن الإسلام - ذلك لأن الإسلام ليس فى حاجة إلى دفاعى هذا - إنه عقيدة متمكنه ثابتة - جذورها عميقة فى كل نفس سوية، هو دين الفطرة : فمن آمن به صدر عن طبع سليم، واستجاب لبواعث الخير الكامنة فى كل نفس بشرية، ومن كفر به خرج على الفطرة السليمة - وصدق رسول الله «كل مولود يولد على الفطرة».

وإنما أريد أن أوضح حقيقة - أن أعرض قضية - أن ألفت الأنظار إلى هذه الجريمة الكبرى التى تمضى فى طريق التنفيذ ونحن عنها غافلون لا هون، أو نبدو عنها غافلين لا هين.

العدوان على الإسلام يأخذ اليوم أبعادا جديدة - ويسير التنفيذ فيه على أساس من التخطيط المرسوم - ولقد كان الإسلام دائما هدفا للعدوان، لكنه كان دائما يجد سندا من كمال مبادئه، وسلامة تعاليمه - وكان يجد عونا من المفكرين - كان يجد من يدافع عنه بالرأى الواضح، والحجة البالغة - بالسلوك العملى القويم - ثم بالسلاح إذا لم يكن بد من سلاح - ولهذا تحطمت الهجمات، وتراجعت الغزوات - ولهذا بقى الإسلام منارة للهدى والحق والخير والسلام - ولهذا انحسرت أمواج الغزو التترى والغزو الصليبى لأن أمثال قطز وصلاح الدين وقفوا أمامها مدعمين بالسلاح، ومن ورائهم ملايين من المؤمنين المخلصين.

أما اليوم فإن الإسلام يهاجم من أعدائه - ومما يروع القلب ويدمي الضمير ألا نجد من يقف دونه - يرد بسلاح القوة، أو بسلاح الفكر والحجة - نعم قد نكثر من الحديث

والضجيج. ومن الصراخ والعويل، ونغلب العواطف، ونخضع للانفعالات فنفقد التوازن - اليوم يهاجم الإسلام حتى من بعض أبنائه - إن تصرفاتهم تدفع المسلمين بالتخلف، وتثير حولهم وحول عقيدتهم التساؤل والتعجب، وهذا أقسى ما يتعرض له دين من محن.

إن القضية خطيرة، ومن الواجب أن يعتمد موقفنا على عقل مستنير، وفكر متزن، يجب أن ندرس حركات أعدائنا، ونحلل أساليب تفكيرهم وتنفيذهم - ولنقابل التخطيط بمثله، ولنصدر فى عملنا عن فكر متحرر، وعقل مستنير.

أعداء الإسلام يهاجمون الإسلام من طريقين :

طريق الفكر - وطريق القوة.

أما طريق الفكر فمتنوع مختلف :

هذه كتب كثيرة تؤلف وتطبع وتنشر وتوزع فى كل مكان

وهذه أفلام سينمائية وتلفزيونية تعد وتوزع وتصل إلى كل بيت .

وهذه مقالات ترسم خطوطها، ثم تذاع على أمواج الأثير لتصل إلى كل سمع وبكل لغة.

وهذه صحف تنمق وتجمل وتملأ بالجنس لتخاطب المراهقين من شباب العرب ورجالهم، وكم بين الرجال من مراهقين .

وهؤلاء علماء ، ورجال فكر، وأحلاف فى دنيا الجريمة يجتمعون فيفكرون - أو يخطبون ويكتبون أو يسيحون ويبشرون - وكل ذلك تحت ستار من خدمة إنسانية، أو معونة طبية، أو رسالة اجتماعية.

تعددت أساليب الهجوم الفكرى ، والهدف واحد وهو الإسلام.

وأما طريق القوة والسلاح فميادينه واسعة متعددة، تشمل الكثير من أقطار الأرض وجوانب القارات، وانظروا معى إلى خريطة العالم الإسلامى لتروا كيف تدور المعارك، وكيف تشترك الصهونية العالمية فى كل معركة بذكاء ودهاء. ونحن على النقيض - نتفرج وكأن الأمر لا يعنينا، أو نبكى وكأن الأمر قد خرج من أيدينا.

وبعد ...

فماذا نحن فاعلون ؟

إذا بقينا على جمودنا وسلبيتنا، ووقفنا فى موقف المتفرج كنا أتعس جيل فى تاريخ الإسلام - وحقت علينا لعنة الأجداد من قبلنا، ولعنة الأحفاد من بعدنا.

علينا أن نحمل السلاح - **سلاح الفكر**، و**سلاح القوة** - علينا أن نقف فى وجه الصهيونية الفاجرة وقفة مؤمنة نفوز بعدها بإحدى الحسنيين، النصر أو الموت .

ولنثق بالله وبديننا - فقد مضت إرادته القادرة أن يبقى هذا الدين - وسيبقى - سيبقى لأنه من نور الله، والله باق، ونوره باق.

﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون** ﴾ «سورة الصف آيه ٨».

فاللهم إنا نسألك أن تنصر الإسلام وتعز المسلمين

وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

obeikandl.com

الإسلام والمعرفة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فإن الحياة - فى مدلولها اللغوى، وواقعها المادى - حركة ونمو وتطور. هكذا أرادها الله فكانت، ثم مضت فى طريقها لا تقف ولا تسكن.

والإنسان فى هذه الحياة هو مصدر الحركة - وقف فى بداية الأمر مع غيره من الكائنات عند نقطة الوجود - مجرد الوجود، وتساوى معها فى التجمع والتكاثر وفى التصرف بحكم الغريزة والفطرة - ولكن الله أراده التفوق ، فمنحه العقل والقلب، وهداه إلى التفكير والإحساس - والذى لا شك فيه، أن الله سبحانه وتعالى أعد الإنسان - إعدادا يميزه على سائر المخلوقات حين وهب له عقلا يفكر وقلبا يحس ويشعر وينفعل. وعلى ضوء من تفكيره وأحاسيسه عرف الضار من النافع، والحسن من القبيح، والخير من الشر - عرف الفضيلة والرذيلة، واستحق السيادة فى الأرض، وتوارث الخلافة فيها منذ كانت إلى حيث يشاء الله.

﴿ **وإذ قال ربك للملائكة ، إنى جاعل فى الأرض خليفة، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك - لا علم لنا إلا ما علمتنا - إنك أنت العليم الحكيم** ﴾«سورة البقرة الآيات ٣٠، ٣١، ٣٢»

ظن الملائكة أن العبادة والطاعة والطهارة هى أساس التفضيل والتمييز، وتمنوا على الله أن يسكنهم فى الأرض لأنهم يسبحون بحمده، ويقدسون له - لكن الله جلت حكمته بيّن لهم أن المعرفة هى سر التفضيل، وأن العلم هو مصدر التقويم، وأنه اختار الإنسان خليفة فى الأرض لأنه منحه العلم والمعرفة - وأوقف الملائكة على جوهر الموضوع بطريقة عملية - فعلم آدم، ثم جمع الملائكة، وسألهم عن الأسماء والمعانى، فقالوا : ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾«سورة البقرة آيه ٣٢» وكانت الحجة القاطعة : ﴿ **قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم - إنى أعلم غيب السموات**

والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾«سورة البقرة آيه ٣٣» وبهذا وضعت المعرفة فى موضعها الصحيح.

هذا التصوير الذى قدمه الكتاب الحكيم يعطينا كثيرا من الحقائق والمفاهيم :

وأول هذه الحقائق - أن المعرفة هى ميزة الإنسان الكبرى، وأن الله منحه هذه الفضيلة ليعرف الخير من الشر، وليميز الخبيث من الطيب، وليعبد الله سبحانه على أساس من الإدراك السليم - فمن وقف من الناس على باب المعرفة، واكتفى من حياته بطعام وشراب ولباس - فقد حكم على نفسه بالجهل، ورضى لها بالهوان، وظل فى دائرة الأنعام - وكان كما قال الله : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها - ولهم آذان لا يسمعون بها - أولئك كالأنعام - بل هم أضل - أولئك هم الغافلون** ﴾«سورة الأعراف آيه ١٧٩»

وثانى الحقائق - أن ميزة الإنسان لم تقف عند مجرد القدرة على المعرفة - بل أخذ المعرفة وطورها، ومضت معه - تنتقل من جيل إلى جيل - وكل جيل يضيف إليها جديدا، ويحذف منها قديما، فأصبحت المعرفة ميراثا يأخذه الأبناء عن الآباء، ويقدمه السابقون للاحقين، ووسيلة ذلك التعليم ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾«سورة العلق آيات ١ : ٥».

وثالث الحقائق - أن الله أراد للإنسان درجة عالية من المعرفة والعلم - وكان العقل الإنسانى أقل من أن يصل إلى نهايتها - فالعقل محدود، والفكر محصور، وملك الله لا حدود له، والعلم لا نهاية له - ولو ترك الإنسان وحده يضل.

من هنا كانت إرادة الله بتفوق بعض أفراد الجنس البشرى - الذين منحهم الله شفافية فى الروح، وقدرة نافذة فى التفكير، فكانوا روادا فى ميادين المعرفة - وحين اتسعت دروب العلم تنوع الأفذاذ من العلماء والمفكرين، وامتدت بحوثهم إلى كل جوانب المعرفة، وألوان الحياة المادية والروحية، وفى قمة هؤلاء كان الرسل والأنبياء، اصطفاهم الله ليحملوا رسالة السماء إلى الأرض، وينقلوا وحى الله إلى العباد، ويكملوا نقص العقل الإنسانى ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس** ﴾«سورة الحج آيه ٧٥». ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب، ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء** ﴾«سورة آل عمران آية ١٧٩»

ورابع الحقائق أن وحى الله نزل على مراحل تساير العقل الإنسانى فى نموه، وأن

الله بعث فى كل أمة رسولا منهم، ومعه شريعة تلائم معارف الناس ومداركهم ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾«سورة النحل آيه ٣٦».

وفى الختام كانت رسالة محمد جامعة شاملة بعد أن اكتمل نمو العقل - وما كانت رسالته صلى الله عليه وسلم إلا امتدادا واكتمالا لما قبلها - وصدق الرسول «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد» وصدق الله : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترى** ﴾«سورة المؤمنون آيه ٤٤» - ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾«سورة فاطر آيه ٢٤» .﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين** ﴾«سورة الأحزاب آيه ٤٠».

بالإسلام اكتملت المعرفة، واكتملت رسالة السماء، وتمت نعمة الله على الناس، وهذه هى بداية المعرفة ودرجاتها، وصورة موجزة لنموها وتطورها.

ومن هذا المنطق فإن المؤمن مطالب بالبحث عن المعرفة وأنّى وجدها فهى ضالته يستفيد منها ويعمل بها بشرط ألا تتصادم أو تتعارض مع تعاليم دينه - حتى لو كانت هذه المعرفة وهذا التقدم العلمى لدى أناس غير مسلمين فلقد خلق الله الناس فى هذه الأرض ليتعارفوا ويتكاملوا - ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...** ﴾ «سورة الحجرات آيه ١٣»

والقرآن الكريم دليل واضح على مدى حرص الإسلام على المعرفة، واهتمامه بالبحث والنظر - فهو دين عقيدة، لكنها عقيدة تقوم على الفكر والعلم. ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك** ﴾ «سورة آل عمران الآيتان ١٩٠، ١٩١».

فالكون كله - بأرضه وسمائه، بره وبحره، ليله ونهاره، صبحه ومسائه - دعوة للبحث والتأمل والتفكير ، والمسلم مطالب بأن يفكر فى الكون حيثما كان - فى عمله وسعيه، فى راحته وسكنه، فى طاعته وعبادته، قائما كان أو قاعدا، ساجدا كان أو رافعا - وبهذا يستجيب لدعوة الله، ﴿ **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم - كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ،والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسى، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماء مباركا، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد - رزقا للعباد، وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج** ﴾«سورة ق آيات من ٦ : ١١».

وليس المراد مجرد النظر، بل المراد تبصرة وذكرى - القرآن لا يريد رؤية العين، بل يريد رؤية القلب، ولا يكتفى بإدراك البصر، بل يقصد إلى إدراك البصيرة : ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض، فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾«سورة الحج آيه ٤٦».

ولا يكتفى القرآن بالنظر مرة واحدة ، بل يريد إرجاع البصر، وإعادة التأمل حتى يعبد المؤمن ربه على معرفة، وحتى يبنى عقيدته على أساس من البحث والفهم : ﴿ **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير - الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سموات طباقا، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر ، هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾«سورة الملك الآيات ١ : ٤».

فإذا ما تأملنا هذه الآيات وأمثالها وجدنا نقاطا جديرة بالوقوف عندها، والتعرف إلى أسرارها : فالحديث فى هذه الآيات للناس جميعا، ولم تبدأ آية من هذه الآيات بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين، وإنما وجه القرآن الكلام إلى الناس حتى ينتهى غير المؤمن إلى الإيمان، وليزداد الذين آمنو إيمانا - هذه واحدة .

والثانية : أن المؤمنين مدعوون جميعا إلى استعمال الفكر، وليس بينهم من اختارته السماء ليكون كاهنا يمنح الصكوك والعهود، لأنهم جميعا أمام الله سواء، وكونه وكتابه مفتوحان.

وثالث النقاط أن المعرفة الصحيحة تعطى المؤمن منزلة عليا بين المقربين - نعم، لا تفاضل فى أصل الدعوة إلى التفكير، ولا فى وسائل البحث - أما بعد التأمل والتدبر - فهناك تفاوت وتفاضل - من وصل بالفكر إلى المعرفة امتاز على من وقف على حدود التفكير وأبوابه، وعلى من فكر ولم يحصل على ثمرة.

﴿ **وما يستوى الأعمى والبصير - ولا الظلمات ولا النور** ﴾«سورة فاطر الآيتان ١٩ : ٢٠» ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾«سورة فاطر آيه ٢٨» ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير** ﴾«سورة فاطر آيه ٣٢»

ورابعة النقاط : أن التفكير هو التأمل والتدبر - أما المعرفة فشئ وراء ذلك المعرفة ثمرة الفكر، والعلم غاية التأمل - وحسب المتأمل جهلا أن يبدأ ولا يصل، وأن يزرع ولا يثمر،

وكفى بالمرء غفلة أن يفكر فلا يعرف، فيكون كالحمار يحمل أسفار الكتب ولا يفيد منها شيئا، والإسلام حين يدعو إلى التفكير، يريد تفكيراً ينتهى بالعلم والمعرفة ، ثم لا يكتفى بالعلم والمعرفة، وإنما يريد تطبيقا للعلم والمعرفة يتناول سلوك المرء فى عبادته وعمله - فالأمر درجات - وسلم الحقائق يبدأ بالفكر وينتهى بالسلوك، ولا ينجح الفكر بدون معرفة، ولا تثمر المعرفة بدون عمل.

وخامس الحقائق : أن المعرفة فى الإسلام معرفة شاملة تتناول أمور الدنيا وأمور الآخرة، أمور العيش وأمور العبادة، والإسلام لا يكتفى بجانب واحد من جوانب الحياة - ونحن لا نوافق على ما ذهب إليه البعض من نبذهم البحث فى النظر إلى أمور الدنيا، واكتفائهم بالبحث فى أمور الدين - والرسول صلى الله عليه وسلم عاش رسولا وبشرا «إنما أنا بشر مثلكم، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد».

ولا ينتهى أمامنا مجال البحث، ولكننا نقول :

الفكرة - ميزة للإنسان - ترتفع به عن مجال الحيوان، ودوافع الغرائز، والمعرفة ثمرة للفكرة - فمن فكر وعرف فقد أثمر زرعه.

لكن المعرفة وحدها ليست فضيلة، وإنما الفضيلة هى العمل القائم على معرفة، والعمل هو الحصاد لثمرة رواها التفكير والتأمل.

نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلى كلمته ويخذل أعداءه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المعنى الإنسانى فى الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

أيها الأخ الكريم ..

فى الإسلام كثير من المعانى الكريمة، بل فيه كل المعانى الكريمة، وهو رسالة الله إلى عباده، تَهدى الحائر، وترشد الضال، وتعطى الجماعة الإنسانية كلَّ ما تريد من ألوان الخير وأسباب الفلاح. والعالم اليوم يعيش فى صراع رهيب، فالمذاهب الفكرية تمزّق وَحدته، والمبادئ الاجتماعية تفرق كلمتَه الناس شيع وأحزاب، قد سادت بينهم شريعة الغاب، واشتعلت نيران الحروب، وتحولت حياتهم إلى محنة وعذاب .

لقد تغيرت حقائق التاريخ، وتبدلت معالم الخير، واسودت آفاق المستقبل، ومضى الناس يبحثون عن طريق للخلاص، ولاخلاص لهم من هذه المحنة إلا بالعودة إلى فطرة الخير التى طبعهم الله عليها، وفطرةُ الخير هى فطرة الإسلام.

الإسلام دين الإنسانية والمحبة - دين التعاون والأخوة - دين الأمان والسلام، لقد كانت دعوة محمد دعوة سلام مع الناس، وصفاء مع النفس، ورجوع إلى الله، فيها من رحابة الأفق، وكرامة الإنسان مالا يوجد فى غيرها على امتداد الزمان وكثرة الأديان.

وأول ما نعرفه عن الإسلام أنه دعوة عامة شاملة - فمحمد ليس رسولَ شعب مختار، ولا هو نبِّى أمة ممتازة، إنما محمد رسولُ الله للناس جميعا، ورسالتهُ لا ترتبط بجنس أو لون، ولا تتقيد بلغة أو إقليمية، قال تعالى : ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ سورة الفرقان آية ١ - وقال تعالى : ﴿ **وأرسلناك للناس رسولا، وكفى بالله شهيدا** ﴾سورة النساء آية ٧٩ - وقال عزّ من قائل : ﴿ **قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا . الذى له ملك السموات والأرض** ﴾ سورة الأعراف آية ١٥٨.

ونحن نقلل من عموم الدعوة المحمدية حين نقف بها عند حدود الناس، لأن محمدا رسولٌ للإنس وللجن، وصدق الله : ﴿ **قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا**

قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا﴾ سورة الجن آيتان ١ : ٢.

وأصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه كانوا مجموعة من كل أجناس البشر، فيهم العربى القرشى، وفيهم صهيب الرومى، وسلمان الفارسى، وبلال الحبشى، أليس من العجيب أن نجد كل واحد من هؤلاء الأصحاب قد غلبت عليه صفته حتى ليكاد يُعرف بها قبل أن يعرف باسمه؟ إنه المعنى الإنسانى الكبير فى رسالة محمد.

إن الإسلام يقوم على فكرة الوَحدة فى مظهرين : وَحْدة الخلق - وَوَحْدة الخالق : أما وَحدة الخلق فقد تقررت فى تعاليم الإسلام بصورة واضحة، والله سبحانه يقول : ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾سورة يونس آية ١٩ - ويقول : ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ سورة الحجرات آية ١٣ - والرسول الأمين يقول :«إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمَها بالأباء، كلكم لآدم، وآدم من تراب».

وتحقيقا لمبدأ الإنسانية الكبير اعترف الإسلامُ بالأديان السابقة ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ سورة النساء آية ١٦٣ - ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾سورة آل عمران ١٤٤ - وإيمان المسلم لا يكمل إلا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله﴾سورة البقرة آية ٢٨٥.

وأما وَحدة الخالق فيقررها الإسلام بجلاء ووضوح ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾سورة آل عمران آية ٢ - ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ سورة البقرة آية ١٦٣ - ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه - وهو على كل شىء وكيل﴾ سورة الأنعام آية ١٠٢ - ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ سورة الإخلاص.

بهذه النظرة الشاملة الراحمة جاء الإسلام : لا يؤمن بعصبية، ولا يعترف بجنسيّة. ولا رضى بنزاع أو شقاق - الإنسانية فيه أسرة واحدة، أصلها رجل واحد وامرأة واحدة، وغايتها تقديس إله واحد - والحياة بهذا التصور، وفى ظلال هذا الدين ليست حياة صراع بين الأجناس أو الشعوب أو الطبقات - وإنما هى حياة التعارف والتعاون على الخير. يقول الله تعالى : ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إنى بما تعملون عليم، وإن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاتقون﴾ سورة المؤمنون آية ٥١ :٥٢.

تأمل يا أخى المسلم فى هذا القول الحكيم تجد ثلاثة أمور :

أولهـــا : أن الله وجّـه الخطاب للرسل جميعا، ودعاهم إلى أكل الطيبات، وعمل الصالحات، وبهذا جمعهم على فكرة واحدة برغم الزمان والمكان، وهى فكرة الوحدة الإنسانية.

وثانيها : أن الله يقول : ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ سورة المؤمنون آية ٥٢ - ومعنى ذلك . أن دينكم يا معشر الأنبياء واحد ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده.

وثالثها : هذا الختام الجامع الرائع للكلام ﴿**وأنا ربكم فاتقون**﴾ - فإذا كان الدين واحدا فإن الله واحد، وهو رب للجميع، وهذا هو المعنى الذى نكرره كل يوم عشرات المرات فى صلاتنا حين نقول ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ سورة الفاتحة آية ٢.

وبعد . فهذا جانب واحد من جوانب المعنى الإنسانى فى الإسلام، غفل عنه المسلمون، فتفرقت الكلمة، وتصارعت المذاهب، وضلت بهم الطريق، فهل من عودة إلى الدين الحق، دين الأخوة والأمان - دين الإنسانية كلها؟

هل من عودة إلى الإسلام؟

﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ سورة آل عمران آية ١٩.

فاللهم إنا نسألك أن تردنا إلى دينك رداً جميلاً.

اللهم آمين.

obeikandi.com

الإسلام دين الفطرة

الحمد لله شرع الدين هداية للمؤمنين ووفق من شاء للتمسك به والتحلى بآدابه فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله كتب رحمته للمتقين وأنعم علينا بنعمة الإسلام وأرسل نبيه محمداً هدى ورحمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه ربه بدين الحق ليظهره على الدين كله ولينقذ به البشر من الضلالة والفوضى ويهديهم إلى الخير والبر وكل ما يحقق لهم السعادة فى الدنيا والفوز فى الآخرة.

اللهم صل وسلم وبارك على نبى الهدى والرحمة وعلى آله وأصحابه والعاملين بشريعته إلى يوم الدين.

أما بعد : فقد قال الله تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

أيها المسلمون :

ما أجمل الإسلام، وما أروع تعاليم محمد، وما أقربها إلى القلوب.

إنها لتسرى فى النفوس البشرية كما يسرى الماء العذب فى النبتة الذابلة طال اشتياقها إليها، فتنبض بالحركة، وتهتز بأسرار الحياة، وتصبح - بعد الجفاف - ناضرة زاهية نامية.

ما أحب الإسلام إلى القلوب، وما أقربه إلى الطبيعة الإنسانية، إنه ليخالطها ببشاشة، ويمازجها فى رفق، ويلامسها فى ود وحب وأناة وتعاطف - يعالج عيبها، ويستر ضعفها، ويبرز خيرها وفضلها، ويريق عليها نعمة الطهر والصفاء.

هكذا كان الإسلام يوم أشرقت أنواره، وهكذا مضى ينتشر فى ربوع الدنيا منبثقا من مهبط الوحى ، طائفا بأرجاء المعمورة فى دورة تمتد وتتسع حتى شملت كل جوانب الأرض، لقد طال انتظار الناس وتطلعهم، ادهم الظلم فانتظروا العدل، وحطمهم الطغيان فتمنوا الرحمة، وفرقتهم الطبقية فتاقوا إلى المساواة - طالت حيرتهم، وتكاثفت الظلمات عليهم، فلما سطعت أنواره تفتحت له القلوب فملأها بالأنس والأمان والاطمئنان.

إن الإسلام جزء من تكوين الإنسان، يتطلبه ضميره، ويحتاج إليه قلبه، ويبحث عنه عقله إنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وما انصرف عنه أحد إلا لظروف البيئة، أو تعاليم الأبوين، أو ضغط المجتمع وعاداته ومثله.

هذه حقيقة أكدتها رحلة الإسلام السريعة يوم انتشر فى الدنيا من حدود الصين إلى المحيط الأطلسى يوم لم تكن الدنيا تعرف وراء ذلك بلادا أو حدودا - ولم تعرف البشرية عقيدة سرت فى أرجاء الكون بمثل هذه البساطة، وبمثل هذا العمق، وبمثل هذا الشمول، وبمثل هذه السرعة.

دخل بلادا لا تعرفه فاستجابت له، ودخل بلاده أعداء يحاربونه فخضعوا له، وسبحان الله كانت له السيادة يوم غزا وحرر وهدى، ويوم غُزِىَ فدافع وحرر وهدى. وكان له النصر فى الحالين : حال زحفه إلى بلاد جديدة، وحال زحف غيره إلى بلاده. ذلك لأن الإسلام فى كل أوقاته كان قريبا من كل نفس، واضحا لكل نظر، مألوفا لكل وجدان، مقنعا لكل تفكير.

لم يسيطر بالسيف والقوة كما ادعى الكاذبون المفترون.

ولم ينتشر بالإغراء الحسى والنعيم المادى كما زعم المستشرقون.

إنما انتشر لأنه دين الفطرة، دين الحق والعدالة، دين المساواة والكرامة، دين السماحة والطهارة، دين الإخاء واحترام الحقوق، دين الفرد والجماعة، دين الحقيقة الواضحة.

ونريد أن نقف اليوم عند معنى الفطرة، ونعود إلى ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه - كما تنتجون البهيمة - هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها».

فالإنسان بطبيعته وفطرته مسلم، وما يطرأ عليه من تهويد أو تنصير أو أى اعتقاد آخر إنما هو صفة عارضة مصدرها الأبوان، أو تعاليم المجتمع وتقاليده، أو ظروف البيئة ومثلها، ولهذا يرى الإسلام أن أطفال غير المسلمين لا يعذبون يوم القيامة، ولا يسرى عليهم تكليف يتبعه ثواب أو عقاب إلا بعد أن يبلغوا سن الرشد، فهم مسلمون بهذا المعنى مسلمون بفطرتهم وبطبيعة تكوينهم التى خلقهم الله عليها - ولنزيد هذه الفكرة وضوحا نقول : إن معنى إسلامهم أنهم لو تركوا لطبيعتهم واستعدادهم الفطرى لعرفوا الخير والشر، ولميزوا الحلال من الحرام، ولأدركوا معنى الوحدانية وسر الألوهية إلى غير ذلك من مبادئ الإسلام الواضحة.

ما معنى الفطرة ؟

معناها الطبيعة التى خلق الله الناس عليها، معناها أن كل إنسان بما أعد الله فيه من دوافع الخير، وضوابط العقل يتجه إلى مبادئ عقيدية وخُلُقيّة لا تختلف عن مبادئ الإسلام، ولو أن الجماعات البشرية سلِمَت من التبشير والتزييف، ونجت من ضغط

الآباء أو فلسفات المجتمعات لعاشت فى حدود فطرتها السليمة التى فطر الله الناس عليها - فطرة التوحيد ، وتقديس الذات الإلهية، فطرة التآخى والتساند - فطرة الاتجاه إلى خالق الكون وحده بالعبادة.

لقد أعلن اللورد هيدلى أحد سادة المجتمع الإنجليزى إسلامه فى بداية القرن العشرين، وقال : «إن اقتناعى بالإسلام كان نتيجة لدراسة طويلة، ولم تبدأ مناقشاتى مع المثقفين من المسلمين إلا منذ أسابيع قليلة، وكم كان اغتباطى وانشراح صدرى عندما وجدت أن نظرياتى فى مقدماتها ونتائجها كانت تتفق تماما مع تعاليم الإسلام» فهو لم يسلم أولا، ثم يتجه إلى معرفة تعاليم الإسلام ومبادئه، بل درس، واستجاب لفطرته الإنسانية الصادقة، ثم عرف أن هذا الذى وصل إليه هو الإسلام فأعلن عن نفسه، وإننى لأتساءل معه : هل سمع أحد برجل مسلم انحدر من إيمانه إلى الإلحاد؟ إن المسلم الحقيقى لا يمكن أن يترك دينه تحت أية رغبة أو رهبة حتى لو أعطى ملك الدنيا ونعيمها، وحتى لو قطعت أطرافه جزءا جزءا لا لشئ إلا لأن هذا الدين هو حقيقة نفسه وفطرتها.

ومنذ الزمن البعيد اهتدى البدوى فى صحرائه إلى الإسلام بفطرته - لقد قال : «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير - فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج كيف لا تدلان على اللطيف الخبير؟» ما الذى جمع بين البدوى فى صحرائه منذ أربعة عشر قرنا، وبين شريف المجتمع الإنجليزى فى القرن العشرين؟ جمعت بينهما الفطرة التى لا تفرق بين إنسان وإنسان، والتى دفعت جموع الناس فى مجاهل آسيا وأفريقية إلى اعتناق الإسلام لا لأن بريق الذهب أغراهم، ولا لأن سلطان السيف أرهبهم، ولا لأن المبشرين فى ثياب الزيف خدعوهم، بل لأن الإسلام هو طبيعتهم وفطرتهم - التقى مع نفوسهم، والتصقت تعاليمه بأحاسيسهم، وخالطت بشاشته وسماحته قلوبهم فكانت الهداية، كانت الحقيقة التى يصرخ بها الإنسان عندما تفاجئه صدمة، أو يصيبه الضر، إنه لا يجد أمامه إلا الله القوى القاهر - يؤمن بذاته وبعظمته، ويلجأ إليه فى ساعات المحن مهما كان من الملحدين - هذا اللجوء إلى الله وحده فى وقت المحن هو الصدق الإنسانى، هو الفطرة السليمة، هو تعاليم الإسلام، هو الهداية، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ «سورة الأنعام آيه ١٢٥»

وصدق رب العالمين ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ «سورة آل عمران آيه ١٩»

نداء الفطرة :

ولعل أروع ما فى الإسلام أنه دين واضح صادق، قريب من النفوس، يساير الفطرة البشرية، ويلتقى مع الطبيعة الخيرة فى الإنسان، ويعالج فى رفق ما تصاب به الفطرة من انحراف، أو تتعرض له من إغراء وإغواء.

ومشكلة الإسلام الحقيقية فى أهله، فهم لا يعرفونه كما يجب أن يُعرف، ومن عرفه منهم اكتفى بهذه المعرفة، ونسى أنه مطالب بعرضه على الناس.

ولو أن الإسلام عُرض على الناس فى صورته الصحيحة، الخالية من الخرافات والأساطير، البعيدة عن الزيف والخداع، لو عرض بهذه الصورة لا ستجابت له النفوس، ولا نتشرت تعاليمه فى أنحاء الكون.

ومحمد صلوات الله وسلامه عليه لم يفعل غير هذا - عرض الإسلام على الناس فى بساطة ووضوح وصدق، ولم يجعل من تعاليمه أسرارا أو طلاسم، ولم يُخف شيئا من مبادئه وحقائقه، بل قدمه إلى الناس - مشرقا كضوء الصبح، طاهرا كندى الفجر، نقيا باهرا كشعاع الشمس، فالتقى مع الفطرة السليمة فى النفوس، واستجاب له الناس بدافع من رغبتهم فى الخير، ومن مشاعرهم النبيلة التى أودعها الله فى جوانحهم.

ومضى الزمن، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وفى كل يوم نقرأ أخبار بعض الناس الذين اعتنقوا الإسلام بدافع من الوجدان الصادق، واستجابة لنداء الفطرة السليمة التى لا تخلو منها نفس بشرية، لم يحملهم على الإسلام سلطان من مادة أو قوة أو جاه، ولم يجبرهم عليه إغراء من مادة أو جنس - مما يلجأ إليه كثير من دعاة المذاهب المختلفة - عادوا إلى فطرتهم التى فطرهم الله عليها، لا تبديل لخلق الله.

هذه فتاة إيطالية تعمل فى دنيا السينما عملا تستغل فيه جسمها وفنها فهى ممثلة إغراء تمتهن الجسم البشرى فى سبيل المال والمجد الزائف، وساقتها الأقدار إلى قرية من قرى الريف المصرى، ودفعها حب الفضول إلى التنقل فى جوانب القرية حتى وقفت ذات يوم على باب مسجد صغير بسيط فى بنائه وفراشه، وراعها (كما تحدثت فيما بعد) راعها أن الناس يقبلون على هذا المسجد فى سكينة ووقار، ويؤدون صلواتهم فى أمان وهدوء، ويتصلون بخالقهم دون وسيط أو رقيب - حركاتهم وادعة، وقسماتهم منيرة، والفروق بينهم زائلة، وأصبح من عادتها كل يوم أن تذهب إلى هذا المكان، وتقف ساعات طويلة تتأمل وتفكر، ثم رأت مساجد أخرى، وسمعت كلمات تتلى، وسألت عن الإسلام، والتقت ببعض رجاله، ودفعتها عاطفة جارفة نحو القراءة، فقرأت وقرأت، ثم

درست شيئا من أصول هذا الدين وتعاليمه، وأخيرا استجابت للنداء - نداء الفطرة النقية الصافية.

وهذا رجل من رجال الأعمال - ترك بلاده الأصلية فى أمريكا الجنوبية، وحملته ظروف الحياة إلى نيويورك، وهناك بدأ يدرس الأديان المختلفة على يد أستاذ يهودى، وتعجب لأن هذا الأستاذ يكلمه عن الأديان كلها إلا الإسلام - فسأله ذات يوم؟ وماذا عن الإسلام؟ قال اليهودى : ذاك دين لا يستحق الدراسة. وتحركت عوامل الشك فى قلب الرجل، ودفعه نوع من التحدى إلى البحث، وكان أن بدأ يدرس الإسلام دراسة عميقة، وهناك فى مسجد نيويورك التقى بإمامه المسلم الذى راح يحدثه عن الإسلام فى رفق وصدق ووضوح، ويقدم له الكتب الدينية، واستجابت نفسه الطيبة إلى التعاليم النقية الصافية، ومن بعده أسلمت زوجه، ورزقا بصغيرين مسلمين فاختار لهما اسمى «هاجر ومصطفى» وتكونت أسرة مسلمة حملت رحالها إلى مصر - والزوجان الآن فى الأزهر الشريف، يزدادان معرفة بالإسلام، ويعلمان الإنجليزية لأبناء الأزهر - الزوج يعلم الفتيان، والزوجة تعلم البنات، وفى الوقت نفسه يترجمان بعض الكتب الإسلامية إلى الإنجليزية حتى تكون سلاحهما فيما يعتزمان الإقدام عليه.

إن الأسرة المسلمة تعد الآن عدتها للرحيل نحو الغرب، نحو أمريكا الجنوبية، لتقيم هناك مسجدا، ومكتبة إسلامية، ولتضع فى الأرض البعيدة بذور الحق والخير، ألا ليت المسلمين عرفوا دينهم، ألا ليت المسلمين عرضوا هذا الدين على غيرهم، ألا ليتنا غرسنا بذور الدعوة فى كل بقاع الأرض حتى تتحقق للناس حياة الأمن والكرامة. إننا لو فعلنا ذلك لا ستجابت لنا الفطرة السليمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا من بعدى كتاب الله وسنتى».

فاتقوا الله عباد الله واسألوه سبحانه العون على طاعته وشكره وتوبوا إليه لعله يرحمكم وصلِّ اللهم على نبينا الصادق الحبيب وعلى آله وصحبه.

جوهر الفطرة فى الإسلام

الحمد لله ، إذا أراد بأمة خيراً وفَّقها للتمسك بدينها والمحافظة على كيانها، والصلاة والسلام على نبينا وهادينا محمد جاء بعقيدة التوحيد والتنزيه، وأمر بالطاعة وحث على التحلى بأخلاق الإسلام العالية، اللهم صل على هادينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا به فأحيوا دينه ونشروا شريعته الغراء.

أما بعد فيأيها المسلمون....

لقد جاء فى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تتحدث عن الفطرة، والتى توجه المسلمين إلى التمسك بها، والبعد عن سبل الضلال ومعالم الزلل.

والقرآن الكريم حين يدعونا إلى الفطرة إنما يقصد الفطرة السليمة الصادقة، وهو بهذا لا يطالبنا بشئ صعب أو مرهق لنا. إنه يدعونا إلى طبيعتنا، إلى شئ فى تكويننا. وما أسهل أن يرجع الإنسان إلى أصله، ومصدر الشعور والإحساس والفهم عنده، إنك حين تخرج على قوانين الكون ونظم الحياة تكلف نفسك شططا. وتطالبها بأمر عسير. أما حين تتجه معها إلى ما تريد من معالم الخير فإنك تكون قد زودتها بزاد طالما اشتاقت إليه، وأمددتها بغذاء طالما بحثت عنه، والله قد فطر النفس البشرية على الخير والهدى والحق، ولست أريد هنا أن أذكر قول المربى الكبير (جون لوك) «إن نفس الطفل صفحة بيضاء، وإن المربى يستطيع أن يخط فيها ما يشاء»، ولا أريد أن أستشهد بما ذهب إليه الفيلسوف الغربى (روسو) عن طبيعة الخير فى الإنسان، والتى أثبتها فى كتابه الخالد (إميل) - ذلك لأن سندى هنا أعظم بكثير من كل ما يقوله جميع الفلاسفة والمفكرين.

تأمل يا أخى المسلم قول الله تبارك وتعالى ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم** ﴾ «سورة الروم آيه ٣٠»

هذه الآيات من سورة الروم قد سبقت بآيات كريمة تتناول أساسا من أسس العقيدة الإسلامية.

لقد بدأ الله الحديث عن قدرته وعظمته، ودعا الناس إلى تسبيحه وتمجيده فى كل وقت : فقال : ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض ، وعشيا وحين تظهرون - يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويحى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون** ﴾ «سورة الروم آيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ » فهو يطالب بالعبادة الحقة، ويدعم هذه المطالبة بدلائل العظمة والربوبية، ثم يستمر فى تقديم البراهين على عظمته ووحدانيته وجلاله فقال سبحانه : ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض** ﴾ وكذلك ﴿ **ومن آياته منامكم بالليل والنهار** ﴾ ، وقوله ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . . .** ﴾ «سورة الروم آيه ٢٥» جولة هائلة فى رحاب الكون الفسيح، جولة تفتح القلب وتدفعه إلى التدبر والتأمل، وترتد بالإنسان إلى ماركّب فيه من فطرة تبحث عن التأمل والتدبر، بعد هذا يأتى التوجيه الكريم «فأقم وجهك للدين حنيفا» لقد تشوقت النفوس إلى التأمل، لقد تهيأت إلى ما طبعت عليه من بحث، لقد حركت الآيات السابقة فيها أسرار فطرتها الخيرة، فلا عجب أن يتبع ذلك توجيه كريم نحو الاتجاه إلى الدين الحنيف - أىُّ دين هذا؟ إن الله تعالى لم يحدده باسمه، لم يقل - فأقم وجهك لدين الإسلام حنيفا - لأنه فى مقام يتضح فيه المقصود وهل هناك دين غير الإسلام يتجه إليه الرسول والمسلمون؟ إن الله جل وعلا يطلب من محمد أن يتجه إليه مستقيما لأنه دين الفطرة وبهذا ربط القرآن الكريم بين أمرين «فطرة النفس البشرية - وطبيعة هذا الدين الإسلامى» كلاهما من صنع الله، وكلاهما يتفق مع قوانين الحياة، وكلاهما يتناسق مع الآخر فى جوهره ومظاهره واتجاهاته - إن الله تعالى هو الذى خلق القلب البشرى، وفطره فطرة معينة، وهو الذى أنزل هذا الدين ليحكم تصرفات هذا القلب، ولينظم نزعاته، ويوجه رغباته، وإذا كانت الفطرة ثابتة فإن الإسلام أيضا ثابت، وإذا كانت قوانين الدين حكيمة فإن فطرة هذا القلب حكيمة، وقابلة لفهم حكمة الدين ومسايرتها - ولو أن الله تعالى خلق الأمرين متضادين، وجعل الفطرة البشرية ذات خصائص تختلف عن مبادئ الإسلام لكان فى تكليف البشر ما يناقض فطرتهم عبث، - تعالى الله عز وجل عن العبث علواً كبيراً .. ولهذا يقول تعالى بعد ذلك ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ «سورة الروم آيه ٣٠» فالفطرة ثابتة، والدين ثابت ولو أن عبدا انحرف عن فطرته لكان هذا الدين وسيلة

تقويمه، ولو أن فطرة ما أصيبت بالمرض لكان فى هذا الدين الشفاء. هكذا أراد الله.

وجملة ما يقال فى هذا المجال أن الإسلام لم يأت بأية فكرة أو مبدأ يختلف مع نظم الكون وقوانين الحياة ولم يكلف الإنسان أمرا يناقض خصائصه البشرية، وهو أكمل ما يقال عن التقاء الدين والفطرة.

ثم تعالَ معى إلى سورة (يس)، واقرأ قصة المؤمن الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ﴿ **قال يا قوم اتبعوا المرسلين - اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون - ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون** ﴾ «سورة يس الآيات ٢٠، ٢١، ٢٢» لقد كانت استجابة هذا المؤمن هى استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق - استجابة لما فيها من وضوح وبساطة واستقامة ومسايرة لقوانين الحياة إنه حين يسأل «ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون؟» يصدر عن الطبع السليم - والفطرة الإنسانية مرتبطة بمصدر وجودها، مرتبطة بالله تبارك وتعالى، تقصد إليه فى كل لحظة من لحظات حياتها، وإنما يظهر ذلك فى وقت الشدائد، فالإنسان حين يحس بالكرب، وحين تضيق به الدنيا، وحين يعجز عن التصرف فى موقف يائس لا يملك إلا أن يقول : (يارب) - إنه يرسلها من قلبه ضارعة، خاشعة مستغيثة، عابدة - يقولها حتى ولو عاش طول حياته فى الفساد، يقولها حتى ولو كان ممن يفتخرون بالإلحاد - (يارب) يقولها البَرّ والفاجر والمؤمن والكافر، ذلك لأن فطرة الإنسان متصلة بخالقها - شاعرة بالحاجة إليه، راجعة إلى مبدعها - تأمل كيف ختمت الآية الكريمة بهذا التعبير «وإليه ترجعون» يالروعة البلاغة فى القرآن، ويالعظمة ما فيه من أسرار «الذى فطرنى» ثم وماذا بعد؟ ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ - فالله هو المصدر، وهو المرجع، هو المنبع، وهو الغاية، هو الأول وهو الآخر.

ثم انتقل يا أخى المسلم معى إلى إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب أباه وقومه : ﴿ **إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين، وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون** ﴾ «سورة الزخرف الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨» فإبراهيم تبرأ من الأوثان وعبادتها مع أنها دين آبائه وقومه فلماذا خرج على إجماعهم؟

الآية واضحة - فالفطرة السليمة هى مصدر ثورته على الأصنام - إن الذى فطرنى

وسوانى، وجعل فى طبيعتى معرفة الخير والشر هو الذى هدانى، وهو الذى سيهدين - لم يكن هناك من بشر تعلّم عنه إبراهيم، وإنما كانت الفطرة، والفطرة وحدها - فالله فاطره، والله هاديه، ومعرفته بالله وحده، واعتماده على الله وحده، هى الكلمة الباقية فى ذرية إبراهيم إلى اليوم، باقية فى عقبه، يرددونها فى كل مجال وبكل لسان، لأنهم يعرفون أنها كلمة الحق - كلمة الله الذى يرجعون إليه - إنها كلمة «التوحيد» جوهر الفطرة كما وضحها القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ «سورة آل عمران آيه ٢»

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ «سورة الإخلاص الآيات ١، ٢، ٣، ٤»

يقول الهادى الحبيب : «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك.

اللهم اهدنا صراطك المستقيم واتقوا الله وتوبوا إليه وسلوا الله العافية والمعافاة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandi.com

مظاهر الفطرة السليمة فى الإسلام

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ألا له الدين الخالص) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين.

أما بعد :

فيا عباد الله :

كلما طال حديثنا عن «الفطرة السليمة» ظهرت لنا معالمها القوية فى كتاب الله، وفى أحاديث رسوله الكريم.

الإسلام دين الفطرة - فأين نجد مظاهر هذه الفطرة فيما نعرفه من مبادئ ديننا الحنيف؟

إن أول مظاهر الفطرة : ما نراه فى تعاليم الإسلام من «بساطة وسهولة ويسر ووضوح» فالله تبارك وتعالى لا يكلف النفس البشرية فوق طاقتها «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت» وليس فى الإسلام طقوس ولا رموز ولا كهنوت، وليس فيه ما يخالف العقل البشرى «الحلال بيِّن والحرام بيِّن» «والدين يسر لا عسر» وليس فيه خروج على مألوف الطبيعة البشرية، فهو يقر الزواج والطلاق، وينظم البيع والشراء، ويطالب الناس بأن يمشوا فى مناكب الأرض سعيا وراء الرزق، لا يتصادم مع عقل، ولا يتناقض مع علم، ولا يخالف عن سنن الكون، هو قانون يمضى وفق الحياة، ولم يأت عصر يثبت فيه أنه ضد هذه الحياة - وهو لا يقبل الخرافات ولا الأساطير، ولا يقر الشعوذة ولا الدجل - وكل ما فيه من تكاليف واضح فى غايته وأهدافه - وأركانه غاية فى السلامة والكمال ، شهادة بوحدانية الله الذى خلق الكون وأبدعه، واعتراف برسالة عبده الذى حمل أمانة التبليغ - وصلاة يلتقى فيها العبد بخالقه فيدعوه ويستعينه ويستهديه - وزكاة تحقق وحدة المجتمع، وتلغى فوارق الطبقية. وتستلّ ضغائن القلوب - وصيام يهذب من جموح الرغبة، ويكسر من سيطرة القوة - وحج إلى بيت الله تلتقى فيه الجموع فتتآلف، وتتجمع الأجناس فتتعارف - وتصديق بيوم نرجع فيه إلى الله فيثيب من أطاع بفضله، ويعذب من عصى بعدله ، - وليس بعد ذلك شئ يطلبه الإسلام منا - والأعرابى حين سأل الرسول عن أمور دينه وقال : هل على

غيرها؟ وأجابه الرسول الأمين : (لا إلا أن تطّوّع) فقال الأعرابى : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص - قال الرسول : «أفلح إن صدق» فالفلاح مرتبط بأداء صورة العبادة فى أبسط مظاهرها.

وثانى مظاهر الفطرة فى الإسلام أنه دين **«مادة وروح»**.

اعترف بالجسد المادى، وما يحتاج إليه من طعام وشراب ووسائل لحفظ النوع - بل نظّم هذه الحاجات، ووضع لها القوانين السليمة، ولم يفرض على هذا الجسد حرماناً أو إذلالا، وأباح الحلال الطيب. ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده، والطيبات من الرزق؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾«سورة الأعراف آيه ٣٢» ونحن نعرف أنه لا رهبانية فى الإسلام، ورسولنا العظيم كان بشرا مثلنا بشهادة القرآن ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم** ﴾ «سورة الكهف آيه ١١٠» وهو لذلك يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق - والرسول عليه الصلاة والسلام هو الذى قال لعبد الله بن عمرو بن العاص «ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر - وتصلى الليل؟ فلا تفعل - فإن لزوجك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، ولبدنك عليك حقا - فصم وأفطر - وصلِّ ونم».

وفى الوقت نفسه اعترف بما فى تكوين الإنسان من روح فياضة بالعواطف، متنوعة الأحاسيس - تحب وتبغض - وتأمل وتتألم - وترضى وتغضب - روح هى سر الحياة ومصدر القوة فى هذا الجسد المادى - ودعا المسلم إلى الارتفاع بهذه الروح وتهذيبها، وتخليصها من نزعات الفساد ونزغات الشيطان، واعترف بأنها قد تخضع فى بعض الأحيان لسيطرة لا تملك التخلص منها (اللهم هذا قسمى فيما أملك، فلا تلمنى فيما لا أملك».

والإسلام لم يكتف بمجرد الاعتراف بالمادة والروح، وبتنظيم مناهج السلوك لكل - بل جمع بين الناحيتين فى إطار واحد، ونظم العلاقة بينهما، وأقامها على أساس من «التعادل والتوازن» وهذا سر من أعظم أسرار النجاح فى الإسلام.

إن بعض الأديان دعت إلى روحانية مغالية، **فالمسيحية مثلا تعتمد على الجانب الروحى، وتتسى أساسا عظيما من أسس الحياة الإنسانية**، وبعض الفلسفات الروحية تدعو إلى تعذيب الجسد فى صور غير إنسانية سعيا منها وراء ما ترجوه من خلاص للروح، أو تكفير عن الخطأ. فهل وصلت إلى ما تريد؟ لا أظن.

والمادية الحديثة تهمل الروح تماما، وتبنى فلسفتها على أساس التنظيم الظاهرى

لتكوين المجتمع - عنيت بطلاء البيت. وزخرفة جدرانه، وارتفاع شرفاته وتركت الداخل خواء مظلما كئيبا - وهذا هو سر شقاء المجتمعات فى ظلال هذه الحضارة المادية - وأبسط ما يقال فيها أنها حضارة جافة، يابسة كجذع شجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.

والاكتفاء بجانب واحد من جانبى الحياة مادى أو روحى اتجاه خاطئ - يفقد الحياة ما فيها من توازن - اتجاه يسير على قدم واحدة.

أرأيت يا أخى المسلم إلى كمال الإسلام حين سار على قدمين، وراعى الناحيتين، وأقام بينهما صلات من التساند والتعاطف والتوازن.

الإسلام يا أخى أمد الإنسان بما في الدين من تعاليم روحية تشبع وجدانه وقلبه.

وأمده بما فى الكون من مظاهر مادية تخدم جسمه - وكان بذلك دين الفطرة السليمة الصادقة.

وثالث ما فى الإسلام من مظاهر الفطرة السليمة اعترافه بالأديان السابقة، وبكل ما تكونه الجماعات البشرية من مثل نبيلة، فهو لم يأت ليهدم غيره بالحق وبالباطل - ولم يكن من أهدافه أن ينسف كل ما تعارفت عليه البشرية من صور الكمال الخلقى، أو التعاون الاجتماعى، وإنما جاء مؤيدا لما سبقه من حق قال الله تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾ «سورة المائدة آيه ٤٨» - وما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يبطل حقا، أو ينكر صالحا، أو يستقبح حسنا - لقد آمن بما جاءت به الرسل قبله «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، لانفرق بين أحد من رسله». وهذا هو الإيمان الكامل القائم على الحقائق السليمة حقائق الفطرة الإنسانية الصادقة.

والإسلام بعد ذلك دين الفطرة لأنه دين الفرد والجماعة، دين وضع تشريعا كاملا للحياة يصون إنسانية الإنسان وذاتيته، ويحقق للمجتمع كل عوامل الترابط والتساند والتكافل والإسلام دين الفطرة لأنه لم يترك شيئا من خصائص النفس البشرية إلا وكان له الرأى الفصل فيها وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شئ** ﴾ «سورة الأنعام آيه ٣٨»

وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

الفطرة والتوحيد

الحمد لله ،نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيراً بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نحمده سبحانه أن هدانا للإسلام وجعلنا من أهل التوحيد الخالص ومن أتباع نبيه الهادى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به وعمل بسنته وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد .. فيا أيها الموحدون

قلنا فى حديث سابق : إن إبراهيم عليه السلام اهتدى بفطرته الصادقة إلى العقيدة الصحيحة، وعرف كلمة الحق - عرف كلمة التوحيد - وجعلها كلمة باقية فى عقبه، يرددونها إلى يوم القيامة، ثم قرأنا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ «سورة الإخلاص».

واليوم نقول : إن فكرة التوحيد هى الأساس الأول فى العقيدة الإسلامية - وسورة الإخلاص توضح فى جلاء حقيقة هذه الفكرة فى مجالين كبيرين، مجال الوجود ومجال العقيدة والعبادة.

أما (وحدة الوجود) - فتقررها السورة تقريراً جازماً مباشراً، ونحن نعنى بها (وحدة الوجود الإلهى) - فالله واحد، متفرد بوحدانيته وذاتيته، ليس معه شريك، وليس كمثله شئ - ومعنى (الأحدية) المفهومة من كلمة (أحد) أعمق وأدق دلالة من معنى (الواحدية) التى تفهم من كلمة (واحد) - ولهذا قال الله تبارك وتعالى «قل هو الله أحد» ولم يقل «واحد» ، ومفهوم ذلك أنه موجود وحده وجودا قائما بذاته غير مرتكن على غيره وليس هناك وجود مستقل بغيره، لأن كل موجود يستمد من ذات الله سر وجوده، ولو انقطع عنه مدد القوة الإلهية لانتهى وجوده - كل مصباح يضىء يستمد ضوءه من مصدر للطاقة وكل كائن حى يستمد حياته من القدرة العليا - وكل فلك يتحرك، أو نجم يدور، أو كوكب يُنير كلها يخضع لتدبير وتقدير من عليم خبير.

أما الموجود الحقيقى، أما المصدر الأول للوجود، أما الذى يستمد وجوده من ذاته - فهو الله وحده، وهو الذى وصف نفسه ووجوده ووحدانيته فقال :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء - وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما - وهو العلى العظيم ﴾ «سورة البقرة آيه ٢٥٥»

تأمل - أيها المسلم - هذه الآية - العظيمة فى مجالها - العميقة فى دلالتها - الواضحة فى تصويرها لوجود الله ووحدانيته - إنها تعدد صفات الخالق جل وعلا، وتعرضها فى سياق تقرير الحقيقة الكبرى - وحدة الله فى وجوده.

«الله لا إله إلا هو» إنها تبدأ بلفظ الجلالة **«الله»** ونجعله بداية كل شئ وبداية الوجود، ونقولها مستقلة واضحة فى نفسها، قاطعة فى دلالتها - كأنما يكفى أن تُذكر وحدها هكذا **«الله»** الذات العليا التى لا نستطيع تصورها - بل ولا يليق بنا أن نحاول البحث فيها، ولقد قال الرسول الكريم «تفكروا فى آلاء الله، ولا تفكروا فى ذاته، فإنكم إن تفكرتم فى ذاته ضللتم» «لا إله إلا هو» هذه الذات ليس معها ذات أخرى تتصف بصفاتها، فهى وحدها ذات الوجود الحق، وكل ماينافى هذه الحقيقة كذب وبهتان : فلا أبوة ولا بنوة - ولا سند ولاعون، ولا شريك ولا منافس - وهو لا يتجلى فى مخلوق بذاته حتى يضفى عليه صفة خاصة، وإنما يتجلى بقدرته فى كل شئ، وبدون حدود أو قيود.

وهكذا جاءت هذه الكلمات ساطعة واضحة باترة لتنفى كل تصور مخالف، أو تأويل مزيف : جاءت لتنفى ما يقوله بعض الناس «مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» ولتزيل من أفكار الناس ما يقوله اليهود «عزير ابن الله» وما يقوله النصارى «المسيح ابن الله» - ولتؤكد ما يقوله الإسلام «إنما الله إله واحد» «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد».

ولم تكتف الآية بكل هذا البيان القاطع فى صورته المعروفه لعلماء البلاغة، والتى تستخدم أداة النفى (لا) وأداة الاستثناء (إلا) لتنفى الألوهية عما عداه، ولتقصرها على ذاته الأحدية. لم تكتف بذلك - بل دعمت المعنى بصفتين جديدتين حين قالت «الحى القيوم» فحياته من ذاته، وهى حياة بدأت قبل كل شئ وبلا أول، وستبقى بعد كل شئ وبلا نهاية - وهى حياة فوق الزمان والمكان، وفوق التصور والتخيل - ثم هو القائم على كل شئ يمده بالوجود والبقاء- فكل شئ راجع إليه ، معتمد عليه «هو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم». وهو حين يقوم على هذا الكون لا يغفل ولا ينسى - قد ملك كل ما فى هذا الكون من أشياء تتصورها العقول أولا تتصورها، تعرفها أو تجهلها - كانت أو ستكون - وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلى العظيم هذا هو مجال الوجود.

أما (مجال العقيدة والعبادة) فمرتبط بمجال الوجود - إذا كان الله تبارك وتعالى أحد فى وجوده - وكل وجود بعده مستمد من وجوده - فمعنى ذلك أنه وحده مصدر الفعل والإرادة فى كل فعل أو أثر - ومتى ثبت هذا اليقين فى قلب المسلم، واستقر فى وجدانه - اتجه إلى الله وحده - اعترف بربوبيته - وقصده بالعبادة والتقديس - ولهذا نجد سورة الإخلاص حين تقرر (أحدية) الله فى الآية الأولى «قل هو الله أحد» تنتقل إلى مجال العقيدة فى الآية الثانية فتقول «الله الصمد» - وكلمة «الصمد» فى اللغة تعنى المقصود فالقصد لله وحده. وهو موضع اتجاه العباد - إليه يلجأون، وإلى ذاته يقصدون ويعبدون، وهذا هو المعنى الذى يتكرر كل يوم عشرات المرات فى صلاة المؤمن وهو يقرأ سورة الفاتحة فيعترف بالربوبية الشاملة للعالمين «الحمد لله رب العالمين» ثم يقول «إياك نعبد، وإياك نستعين» وبلاغة التعبير هنا تؤكد أنه هو وحده المقصود بالعبادة، وهو وحده المقصود بالاستعانة.

أرأيت أيها المسلم - كيف تناولت العقيدة الإسلامية معنى التوحيد فى مجالى الوجود والعقيدة ولعلك بعد ذلك لست فى حاجة إلى أن تسأل : وما صلة ذلك بالفطرة - فقد رأيت أن كل دين أو عقيدة ترجع إلى «ذات الله» وتعترف به مهما كانت صورة عبادتها - كل من جعل لله شريكا عاد فى مجال الحجاج والجدل ليقول «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» - فالإنسان بفطرته يأبى أن ينكر وجود الله، ويستعصى على عقله ومشاعره أن تتنكر لحقيقة كبرى تعيش فى داخله، حقيقة تسيطر على تفكيره وتصرفه دون أن يحس - حقيقة أن هذا الكون صنع إله قادر قوى واحد.

والإنسان لا يضل عن فطرته، ولا يتنكر لوجود الخالق إلا إذا كانت حياته هناءة ورغدا - أما عند المحسن فإنه لايملك إلا أن يلجأ إلى فاطره «حتى إذا كنتم فى الفلك، وجرين بهم بريح طيبة، وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل مكان، وظنوا أنهم أحيط بهم - دعوا الله مخلصين» - إذا هبت الريح طيبة كان الكفر والنسيان - وإذا جاءت ريح عاصفة كان الرجوع إلى الله وكان الإيمان، وقتل الإنسان ما أكفره - وجلت رحمة الله واسع المغفرة.

فاتقوا الله وأخلصوا التوحيد واجعلوا عبادتكم خالصة له وتوبوا إليه يتب عليكم واستغفروه يغفر لكم..

وأقول قولى هذا وأستغفرا لله لى ولكم.

الإيمان بين العقيدة والسلوك

الحمد لله رب العالمين

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه

ثم أما بعد ..

فيا عباد الله :

فحين جاء محمد صلواتُ الله وسلامه عليه رأى الحياة فى صورتها الصحيحة، وعرف الحقَّ فى جوهره الصادق - وكانت رؤيته للحياة شاملة كاملة، وكانت معرفته بالحق - مبصرة واعية - رأى وعرف على صورة غير التى ألفها الناس قبله، حتى الأنبياء.

وحين نزل عليه القرآن الكريم كان دستوراً كاملاً للحياة وما فيها من الحق - وأعنى بالحياة كل ألوانها : حياةَ الوجدان والمشاعر - وحياةَ التأمل والفكر - وحياةَ العمل والسلوك.

أبدا لم تر الدنيا منهجا للحياة كهذا المنهج الذى قدمته رسالةُ محمد - جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه - أقر المبادئ الصالحة، وقوّم التعاليم الباطلة، وكان بحقّ مدرسةً فريدة - تربت فيها الأمة المحمدية تربية متكاملة تشمل جانبى العقيدة والسلوك.

والإيمان فى هذا المنهج هو الأصل - وما عداه فروع.

هو الأساس الذى يقوم عليه بناء المجتمع، وتنبع منه جميع المُثُل والقيم فى هذه الحياة لكن الإيمان ليس فكرة صوفية، أو مبدأ فلسفيا، وليس مجرد عاطفة وجدانية يخضع لها القلب ثم يقف عند هذه الحدود، وليس مجرد تصديق واعتراف بوحدانية الله، وتفرده بصفات الألوهية.

الإيمان تصديق وعمل - عقيدة وسلوك - مبدأ وتطبيق - إدراك نابع عن الذهن والوجدان معا - وممارسة عملية فى واقع الحياة.

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : «تخاصم أهل الأديان - فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء - وقال أهل الإنجيل مثلَ ذلك - وقال أهل الإسلام لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ كلَّ كتاب، ونبينا خاتم النبيين. وأُمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم، ونعمل بكتابنا - فقضى الله بينهم وقال ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب - من يعمل سوءا يجز به ، ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة، ولا يظلمون نقيرا** ﴾ سورة النساء آية ١٢٣ : ١٢٤.

والمعنى أن (الإيمان) ليس بالتمنى - ولكن ما ثبت فى القلب وصدقه العمل - وليس كل من ادعى شيئا ثبت له بمجرد الدعوى - وليس كل من تمنى شيئا أصبح أهلاً له - وإنما العبرة بالعمل بعد التصديق. ولهذا أكدت الآية الكريمة قيمة العمل فى مظهريه - الحسن والقبيح السيئ والصالح - وبينت أن الجزاء سيكون على العمل : ﴿ **من يعمل سوءا يجز به** ﴾ ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة** ﴾ سورة النساء آية ١٢٤.

أما لماذا ركزت الآية على (العمل) وأبرزته فى مجال العقاب والثواب فلأنه مظهر العقيدة، ولأنه التجسيد الواضح للتصديق، ولأنه العلاقة على مدى تشرب القلب للإيمان.

وقد يظن بعض الناس أن المراد بالعمل هنا (العباداتُ) كالصلاة والزكاة والصيام، ولكن الحقيقة أن العبادات وحدها لا تكفى - ودلالتها قد تكون خادعة - إنما يؤكد هذه الدلالة السلوك، فى المجتمع، والتعاملُ مع الناس فى أمور الحياة، فالعمل إذن (عبادات ومعاملات).

قدم على عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه أحدُ الشهود - فقال له عمر : ائتنى بمن يعرفُك. فأتاه برجل فأثنى عليه هذا الرجل خيرا - فسأله عمر : هل أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا قال : أأنت رفيقه فى السفر الذى يُستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال : لا قال : فهل عاملتَه بالدرهم والدينار الذى تستبين به ورع الرجل؟ قال : لا قال : أظنك رأيتهِ قائما فى المسجد يُهمهم بالقرآن يخفض رأسه تارة ويرفعها أخرى؟ قال الرجل : نعم - فقال عمر : اذهب فلست تعرفه.

ومدلول هذا الخبر أن المؤمن لا يظهر جوهره، ولا يُعرف معدنه إلا فى تعامله مع الناس - وأن كثرة العبادات ليست دليلا على عمق الإيمان.

لكن الحياة ترينا صورة أخرى للموضوع - إذ قد يكون سلوك الكافر حسنا - فيتحقق جانب العمل، ولا يتحقق جانب العقيدة- والصحيح فى ذلك أن سلوك غير المؤمن خاضع للعرف، ولعادات مجتمعه - وهذه العادات عرضة للتلوّن والتلوث - وهو مظهر كاذب، ومثله فى ذلك كمثل الرجل يتزين بالملابس الفاخرة وجسمه من الداخل لا يعرف النظافة.

والإيمان شرط ضرورى لقبول العمل - ألا ترى كيف عادت الآية فاشترطت فى العمل الصالح أن يعتمد على الإيمان ﴿**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن**﴾سورة النساء آية ١٢٤ - فسلوك الكافر سلوك خادع - أما سلوك المؤمن فينبع من عين ثرة طاهرة. ويتطابق فيه المظهر والمخبر - ويلتقى العرض بالجوهر.

حقق الله لنا الأمرين - وجعل سلوكنا دليل عقيدة ثابته صحيحة.

وهو الموفق والهادى إلى سواء السبيل

obeikandl.com

دعوة واستجابة

الحمد لله

وأشهد أن لا إله إلا الله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خير من لبى نداء الله ودعا الناس إلى ما فيه رحمتهم وخيرهم فصلوات ربى وتسليماته عليه وعلى صحابته الكرام .

أما بعد..

فَيا أيها الموحدون :

أنتم مدعوون إلى ما فيه الخير والرحمة وما عليكم إلا الاستجابة

أما الدعوة فمن الله تعالى، ومن رسوله الأمين.

وأما الاستجابة فمن المؤمنين الذين يستحقون شرف هذه الدعوة

وأما الآية الكريمة التى تحدثنا عن الأمرين : الدعوة والاستجابة فهى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون** ﴾ سورة الأنفال آية ٢٤.

ودعوة الله للمؤمنين فيها الرحمة والخير - وفيها الأمْن والسلام - وفيها الهدى والرشاد.﴿ **والله يدعو إلى دار السلام، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾سورة يونس آية ٢٥

وحقيقة الرسالة الإسلامية أنها دعوة من الله العظيم بلغها للناس رسوله الكريم : فمن الناس من كتب اللهُ له الفلاح والخير واستجاب، ولبى الدعوة - ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ سورة النور آية ٥١.

ومن الناس من تكبر وأعرض عن الدعوة فظلم نفسه، وباء بالخسران المبين : ﴿ **وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون** ﴾سورة النور آية ٤٨ - ﴿ **وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا** ﴾ سورة الكهف آية ٥٧.

ولقد روى متصلا عن جابر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : «إنّى رأيتُ فى المنام كأن جبريل عند رأسى، وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا. فقال : اسمع - سمِعْت أذنُك - واعقل عقَلَ قلبك، إنما مثلك ومثلُ أمتك كمثل ملكٍ اتخذ دارا ، ثم بنى فيها بيتا، ثم جعل فيها مأدُبة، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام - والبيت الجنة - وأنت يا محمدُ الرسول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها».

ونعود إلى الآية الكريمة : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ سورة الأنفال آية ٢٤- فنقول : إنها دعوةٌ إلى الحياة، ولكن : لأى نوع من الحياة؟ هل هى دعوة لمجرد الوجود المضاد للعدم؟ هل المراد الحياةُ التى تعنى الأكل والشرب والحركة والتكاثر والنمو؟ بالطبع لا - فهذا النوع من الحياة قدْرٌ مشترك بين الإنسان والحيوان والنبات، ولا يستحق شرف الدعوة الإلهية - ومظاهر هذه الحياة لا تخضع لقوانين الدعوة التى تضمنتها الآية الكريمة وكانت سرَّ الرسالة المحمدية - يعنى لا داعى أبدا لأن يدعونا الله تعالى لمجرد الأكل والشرب والحركة والتكاثر.

إذن هناك نوع آخر من الحياة يلائم طبيعة الإنسان العاقل الفاهم، ويستحق لفتة إلهية، ورسالة ربانية، وجهادا وتضحية من رسول عظيم - ونعنى حياة الشرف والعزة والحرية - حياة ترتفع بالإنسان إلى مقام عالٍ يتصل فيه بالله ، وينطلق إلى آفاق من الكمال المطلق، والتجرد من قيود البشرية الدنيا - وفى حدود ذلك فسر البخارى الآية فقال : المعنى : أجيبوا الله إذا دعاكم لما يصلحكم - فالحياة عنده هى الصلاح والإصلاح.

وقال مجاهد - المعنى : أجيبوا الله إذا دعاكم للحق ففسر الحياة بالحق.

وقال قتادة - مايحيينا هوالقرآن، ففيه النجاة والبقاء والحياة.

وقال السّدّى - ما يحييكم هو الإسلام - ففيه حياة للمؤمن بعد موته بالكفر.

﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه. وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس** ﴾سورة الأنعام آية ١٢٢.

ولا تناقض بين هذه الآراء - فالإسلام هو الإصلاح، وهو الحق، ودستوره هو القرآن - والدعوة فى جوهرها دعوة إلى الإصلاح والحق، والحب والخير والفوز، وإلى الكمال

والطهر، وفى كلمة واحدة هى دعوةُ إلى (الإسلام).

وبعد...

فقد دُعى المؤمنون فاستجابوا - وأطاعوا - ولكن هذا لا يكفى.

نحن فى حاجة دائمة إلى أن نجدد الاستجابة، وأن نجدد الطاعة، وأن نرجع إلى عقيدتنا وقلوبنا فنتعهدها بالإصلاح والرىّ حتى نظل على ثقة وثيقة بربنا وبديننا، يجب أن نكون حذرين من أى انحراف أو زيغ أو فساد - وفى بقية الآية نذير ﴿**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ سورة الأنفال آية ٢٤ - ولهذا كان ﷺ لا يأمن لمكر الله، وكان دائما يناجى ربّه فيقول : «يا مقلب القلوب ثبّت قلبى على دينك»

ثبّت الله قلوبنا على الحق، وحفظ علينا نعمة الإسلام - نعمة الحياة الطيبة الصالحة.

ولله الحمد فى الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير

obeikandl.com